المحاضرة الرابعة:

الجزائر إيالة عثمانية انضمام الجزائر للدولة العثمانية:

بعد استشهاد عروج أدرك خير الدين بأن الوضع الداخلي زاد تأزما، فوجد صعوبة كبيرة في مواصلة الجهاد ضد الإسبان، ومسيرة أخيه النضالية، خاصة وأنه لم يكن يحظى بمكانة كبيرة كالتي عرفها أخوه عروج وسط الأهالي هذا من جهة من جهة أخرى كثرة الأعداء من عدة جبهات خاصة التهديدات التي جاءته من الملك كارلوس ملك إسبانيا حيث يقول له: "لقد مات أخوك وقتل أكثر جنوده فكسر جناحك من تحسب نفسك حتى تقف في وجه أقوى ملك مسيحي بدون أخيك؟ ماذا يمكنك أن تفعل؟ خذ سفنك ورجالك وأخرج من الجزائر فورا وإياك أن تطأ قدماك أرض إفريقيا مرة أخرى. إن هذا آخر إنذار أوجهه إليك سوف أملأ البحر بالسفن وأعود إلى الجزائر قريبا فإذا تمكنت منك فلتعلم بأن عاقبتك ستكون وخيمة". لهذا أدرك خير الدين أنه لن يستطيع مواجهة الإسبان بمغرب منقسم وممزق لذلك عبر عن نيته في الرحيل عن المدينة والعودة إلى إسطنبول، حيث يقول: "... أنا بقيت في بلادكم منفردا غريبا لا ناصر ولا معين من إخوته وقد رأيتم ما وقع من سلطان تلمسان وما جلب به علينا من النصارى" وقد أكد بأنه عازم على السفر إلى بلاده بقوله: "اختاروا واحدا منكم من خياركم تقدمونه أميرا عليكم" غير أن الأهالي ألحو عليه ورجوه في العدول عن قراره خاصة أمام عودة الإسبان إلى وهران وإعادة تنصيب أبو حمو الثالث، فهذه الظروف دفعت بخير الدين إلى العدول عن رأيه وأكد لأهالي مدينة الجزائر بأن السبيل الوحيد للوقوف في وجه الإسبان هو طلب حماية الدولة العثمانية والانطواء تحت رايتها باعتبارها قوة إسلامية آنذاك

والكفيلة للوقوف في وجه الإسبان.

وفعلا توجه وفد مكون من قضاة وخطباء وعلماء وتجار وأعيان يحملون معهم رسالة مكتوبة باسمهم واسم كافة سكان مدينة الجزائر يعرضون فيها استدعائهم لطاعة السلطان ويطلبون منه نجدتهم في مواجهة الأخطار التي تهددهم ورفع الغبن عنهم وطرد الإسبان المحتلين.

وقد تزعم البعثة الفقيه العالم أبو العباس أحمد بن القاضي وكلمات الرسالة تفيض بالولاء للسلطان العثماني والثناء على خير الدين، حيث جاء فيها بشأن هذا الأخير ما يلي: "... لقد أظهر مزيدا من الشجاعة والجدية عندما قادنا إلى الجهاد في سبيل الله بنية حسنة وقلب صادق الكلمة معنا في الشدة والرخاءلإعلاء كلمة الله...".

لقد استجاب السلطان العثماني سليم الأول لطلب سكان مدينة الجزائر، وقام بإرسال أسطول بحري مدعوم بألفين (٢٠٠٠) جندي من الجيش الإنكشاري وكمية كبيرة من الذخيرة والعتاد والمدفعية وفتح باب التطوع للالتحاق بالجزائر للجهاد ومنح أربعة آلاف (٤٠٠٠) متطوع نفس الامتيازات الخاصة بالجنود الإنكشارية. وسارع إلى منح خير الدين بربروس لقب بايلرباي وهو من أعظم ألقاب الدولة وأصبح خير الدين ممثلا خاصا للسلطان العثماني في إيالة الجزائر، كما تم صك العملة باسم السلطان العثماني وبذلك تم إلحاق الجزائر رسميا بالخلافة العثمانية بداية من سنة ١٥١٩ لتبدأ مرحلة جديدة من تاريخ الجزائر العثمانية.